ان جوته ، في ديوانه الغربي ـ الشرقي ، يميز بين ثلاثة انواع من الترجمة : ترجمة « تجعلنا نعـــرف الاجنبي من وجهة نظرنا نحن » ، وترجمـــة Parodistique « لا تستهدف سوى امتلاك الفكر الاجنبي ، لكن مع نقله الى فكرنا » ، وترجمة ثالثة « ترمي الى التطابق والتوحد مع الاصل ، وتنزع الى التقرب في النهاية من المعنى الكامن وراء السطور ، فتسهل كثيرا فهم الاصل · وعن طريق ذلك نجد انفسنا ، بغير قصد ، أمام النص في شكله الاولي ، وتتم بكيفية نهائية الدورة التي ينجز من خلالها نقل الاجنبي الى الأهلي، ونقل المعلوم الى المجهول » (٧) · ان جوته يحبذ هذا النوع الثالث من الترجمة ، ولانـــه يتوفر على عبقرية تركيبية فقد أضفى على الاستشراق نبلا فكريا ، وسكنا شعريا ، واهتماما بالجمال عند الآخر · ان جوته يؤسس الاستشراق داخل جذور الكينونة ، ومن ثم فـــان ديوانه ، يساوي بحق مجموع النصوص الاستشراقية ·

والواقع أنه ، باستثناء محاولات متخصصة نادرة وجريئة ، لا يزال الشعر العربـــي ينتظر من يترجمه · ويساهم بيرك ،على طريقته ، في رسم معالم طريق هذه الترجمة ،وهذه هي القيمة الاساسية لكتابه « اللغات العربية في الحاضر » · الا انه يجب ان نوضح مسالة ما يسميه تعدد اللسان Hétérophonie · فالامر يتعلق ، مثلا ، بالكتاب العرب الذين يكتبون بالفرنسية وخاصة عندما يقول : «بدون ان نتقصد اثارة المسالة بجلبة كبيرة ، فاننا نقول بأنه غير طبيعي أن تعبر طليعة من الادباء العرب ، بما فيها من شعراء ، بلغة الآخر · الا يؤدي ذلك الى هجرة من الداخل ؟ بلى ، وهذا جد صحيح » ص ٦٧ ·

نريد أن نثير المشكلة من حيث اتصالها بظل لساني ، يوجد أيضا في رغبة ازدواجيـــة اللغة عند الاستشراق ، ولكن بمعنى معكوس · لعبة مرآة : المستشرق المحترف في حالـة صراع داخل لغته الخاصة ، وصراعه مع منافس خطير ينزع ، بشكل ما الـى احتلال نفس المكان ، ونفس المسرح · من ثم ، نستطيع أن نفهم ، ضمنيا ، الضغينة المتبادلة التي تكمن وراء هذا النوع من الجدال · وما يهمنا هنا ، هو ابراز المسالة في الكلمات المعبرة عنها حقيقة ، بعيدا عن الصياغة البسيكولوجية والتاكتيكية التي يلجأ اليهـــا بيرك · ان كينونة لغة ما ، تتجه نحو كينونة اللغة التي تتجه هي أيضا اليها · انها تسير نحو مـــن يندرج جذريا ، داخل نفسه ، ضمن المسافة القائمة بين الهوية والمغايرة · هذه المسافـــة الفارقة هي مسرح النص ودائرة مراهنته · وفي الادب المغربي المكتوب بالفرنسية ، فـان مثل هذه المسافة الفارقة ـ عندما تصبح نصا وقصيدة ـ تفرض نفسها من خلال « غربتهـا الجذرية » ، أي من خلال كتابة تبحث عن جذورها في لغة اخرى ، وفي « خارج » مطلق · كيف نستطيع ان نقيس ما يمكنه ان يتحول في هذه الغربة الجذرية ؟ اذا كانت رغبتنا هي في عمقها ، مزدوجة اللسان ، فباسم اي شيء يريد بيرك ان يحول بيننا وبين الرد عليه في لغته الخاصة ، وخارج بلاغته المتغطرسة ؟

في كتب جاك بيرك ، يسلك العرب طريق السرية ، مثل العمال المهاجرين من أقطـــار المغرب في حي باريس بالعاصمة الفرنسية · وهذا يدخل في عناصر المنطق الرقيق واللذيذ بطريقة التناول عند بيرك · ذلك ان بيرك ، وهذا تناقض بالنسبة لمستشرق ، لا يحب الاسلام : انه يحب ما قبل الاسلام · حب مشروع ، لكن لماذا ينساق للاوهام حول مواضع رغبته ؟ انه يحتفل بالجاهلية وبشعرها احتفالا تطبعه الحيوية والنوستالجية الطبيعيـــة